مفكرون أميركيون يتساءلون: لماذا يجب أن نغادر العراق ولماذا يجب أن لا نغادره؟/ ٢ - ٢

عن (ميدل إيست أونلاين)

الخسائر البشرية والمالية

بلغت تكاليف حرب العراق حتى الآن ما يزيد عن ٣٥٠ مليار دولار، وما زالت تستهلك حوالي ٨ مليارات دولار شهريا، هذا بخلاف التكاليف غير المباشرة مثل تكاليف العلاج الطويل الذي يحتاج إليه المحاربون. فعند دراسة المهام العسكرية يجب أن يوضع في الحسبان حجم الخسائر إذا كان الأمر بعيدا عن أمن البلاد وبقائها. أما بالنسبة للحرب على العراق فلم تكن يوما تتعلق ببقاء أميركا، حتى فيما يخص الحرب الأوسع على الإرهاب الإسلامي الراديكالي. فالحرب على العراق كانت حربا اختيارية، وكانت الاختيار الخاطئ.

المغادرة خلال ستة أشهر

يخلص كاربينتر في تقريره إلى أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تضع إستراتيجية للانسحاب من العراق خلال أشهر، وعلى الرئيس أن يبدأ عملية الانسحاب على الفور، والتي يجب أن تنتهي خلال ستة أشهر على الأكثر. في ظل هذه الظروف لن يكون قرار الانسحاب سهلا من الناحية العاطفية، إذ يتطلب اعتراف بفشل واشنطن في تحقيق أهدافها الطموحة في صنع عراق مستقر وموحد وديمقراطي، يكون نموذجا للسلام في الشرق الأوسط. فمن الصعب على أي دولة، خاصة دولة عظمى مثل الولايات المتحدة الاعتراف بالفشل، لكن من الأفضل الاعتراف بالفشل حينما تكون العواقب معقولة نسبيا. وبالرغم من أن الفشل في العراق يعد نكسة بالنسبة للولايات المتحدة، لكنها كدولة عظمى تستطيع التغلب عليها دون خسائر فادحة في مصالحها الرئيسية وقدراتها. والأهم من ذلك أن الانسحاب الآن سيكون أقل ضررا من الانسحاب لاحقا، حينما تكون الخسائر البشرية والمادية وانهيار المصداقية أعظم بكثير. وفي النهاية يجب أن يكون الأمر واضحا بالنسبة للعراقيين وشعوب العالم الإسلامي في أن واشنطن ليس لديها نية لدعم أي وجود عسكري في العراق. وقبل كل ذلك على صناع القرار الأميركيين تعلم الدرس الأكبر: وهو أن الدخول في حرب اختيارية سعيا وراء وهم بناء دولة هو فعل أحمق يجب ألا يتكرر مع أي دولة أخرى.

لماذا يجب ألا نغادر العراق؟

من الجهة الأخرى، جانب الذين لا يؤيدون انسحابا أميركيا سريعا من العراق، فقد استبق معهد أميركان انتربرايز إعلان الرئيس بوش عن إستراتيجيته الجديدة بزيادة عدد القوات الأميركية في العراق بعقد جلسة نقاش يوم الخامس من ايلول بعنوان "العراق: نقطة تحول" تحدث فيها عضوان بارزان من أعضاء مجلس الشيوخ وهما السيناتور الجمهوري جون ماكين والسيناتور الديمقراطي المستقل جو ليبرمان، كما قدم فردريك كاغان الباحث بالمعهد في الجلسة الافتتاحية للنقاش ورقة بعنوان "اختيار النصر: خطة للنجاح في العراق". وكان النقاش بشكل عام يدور في إطار دعم زيادة عدد القوات، وضرورة البقاء في العراق إلى أن يتحقق النصر، و"لماذا يجب ألا نغادر العراق؟" وهو عنوان مقال نشره مايكل روبن الباحث في المعهد في الثامن من ديسمبر الماضي.

أين الديمقراطية في تقرير بيكر - هاملتون؟

ينتقد روبن في بداية مقاله توصيات مجموعة دراسة العراق المعروفة باسم لجنة بيكر/هاملتون المفوضة من قبل الكونغرس لإيجاد حلول أكثر فاعلية للوضع في العراق، والتي دعت إلى تغيير السياسة الأميركية القائمة في العراق، والانخراط في التعامل مع سوريا وإيران وتحديد عام ٢٠٠٨ كموعد مفترض لبداية سحب القوات الأميركية من العراق. وقال روبن إنه لا وجود للحرية ونشر الديمقراطية في تقرير مجموعة دراسة العراق. وأضاف أن جلسات النقاش التي تناولت التقرير قبل نشره شهدت أسئلة من عدد من الخبراء حول هذه الموضوع، وفي كل مرة كان يتم ذكر كلمة الديمقراطية كان جيمس بيكر يشيح بوجهه ساخرا من الفكرة. وأضاف روبن أن تقرير مجموعة دراسة العراق لم يكن التقرير الوحيد في واشنطن الذي دعا إلى تغيير السياسة الأميركية الراهنة في العراق، فقد أصدر مجلس الأمن القومي مراجعته كما أعادت وزارة الدفاع البنتاغون تقييم سياستها في العراق. ولكن ما عاب المؤسسات الأميركية المعنية بإعداد دراسات عن السياسة في العراق هو عدم التنسيق اللازم فيما بينها.

الانتقادات عرقلة لخطة بوش لنشر الديمقراطية

وأكد روبن على أن البيت الأبيض كان لديه إستراتيجية جادة لنشر الديمقراطية والحرية في الشرق الأوسط، ولكن العديد من القيادات العسكرية والمدنية عارضوا وقاوموا تنفيذ أهداف إدارة بوش، خاصة الحرس القديم للسياسة الخارجية الذين قاوموا كل خطوة من خطوات إدارة بوش للتحول الديمقراطي في منطقة الشرق الأوسط. وبالتالي وتحت تأثير الانتقادات المتوالية على إدارة بوش، اضطر الرئيس إلى تغيير سياسته أكثر من مرة والانتقال من إستراتيجية إلى أخرى، ليصبح الوضع كما هو عليه الآن فوضوي. ودافع روبن عن غزو العراق، قائلا إن تحرك القوات الأميركية وحلفائها والقيام بعمل عسكري ضد النظام العراقي جاء بعد مرور ١٣ عاما من فشل الضغوط الدبلوماسية والاقتصادية ضد نظام صدام، وذلك في الوقت الذي كان الاعتقاد بامتلاك العراق أسلحة دمار شامل في كل أنحاء العالم أمرا لا يقبل الشك. وكان الرئيس بوش محقا عندما ذهب إلى أنه ما دام القيام بعمل عسكري ضد النظام العراقي السابق أمر لا مفر منه، فلماذا لا يجب أن يضاف إليه هدفا أخرا، وهو نشر الديمقراطية.

هل نشر الديمقراطية حلم ساذج؟

طرح روبن سؤالا حول واقعية إدارة بوش في نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط قائلا هل من السذاجة أن يحلم الرئيس بوش بتحويل العراق إلى دولة ديمقراطية، وأجاب قائلا بالطبع كلا، فقد فر واحد من كل ستة عراقيين من بلدهم أبان عهد صدام حسين. وفضلا على ذلك لم يكن هدف بوش من نشر الديمقراطية دربا من اليوتوبيا الخالصة، فإن سياسة قبول التعامل مع أنظمة ديكتاتورية تحمي الاستقرار في المنطقة وتعد بإصلاحات ديمقراطية على المدى البعيد، أمرا أثبت فشله عبر التاريخ . بل على العكس، أنصف التاريخ قادة أصحاب مواقف صارمة وصلبة مثل الرئيس ترومان وموقفه من الحرب الكورية رغم أنه من أكثر الرؤساء الأميركيين تعرضا للانتقادات والهجوم وانخفاضا للشعبية أثناء توليه الحكم. وقارن الكاتب بين موقف وأداء بوش في العراق وموقف و أداء ترومان في الحرب الكورية. ويرى روبن أنه طالما أن المتشددين في الشرق الأوسط يلومون الغرب والولايات المتحدة على دعم الأنظمة الديكتاتورية خوفا من وصولهم إلى السلطة، وطالما أن الأنظمة الديكتاتورية تسعى لإقناع الغرب بأنها تسدي له معروفا بالسيطرة على الحركات الراديكالية، وتلقي باللائمة على الولايات المتحدة والغرب بوصول هؤلاء إلى الحكم من خلال عمليات الإصلاح والديمقراطية. فإن الغرب لن يحقق نجاحا أو قبولا على أي حال، فمن الأفضل أن يستمر الرئيس بوش في إستراتيجيته إلى النهاية.

الانسحاب من العراق لن يعني إلا الفشل

خلص روبن في مقال إلا أن أسوأ سيناريو يمكن أن تقوم به الولايات المتحدة في العراق هو التعجيل بالانسحاب من العراق كما يطالب العديد من الساسة وأعضاء الكونغرس، قائلا إن انسحابا أثناء استمرار العنف وإطلاق النار في العراق لن يعني إلا الهزيمة. وسوف تعتبر الأنظمة الديكتاتورية على امتداد الشرق الأوسط أنها خرجت منتصرة أمام ضغوط إدارة بوش، ولن تتوانى عن سحق المعارضة سواء كانت ليبرالية أو إسلامية. وفضلا عن ذلك فإن الدول من إيران حتى كوريا الشمالية ستواصل أمام ضعف الإرادة السياسية الأميركية التمادي في زيادة قدرتها العسكرية. وردا على الهجوم وحملة الانتقادات التي يتعرض لها الرئيس بوش في هذه الأحيان، قال روبن إن القيادة السليمة لا تعتمد على استطلاعات الرأي ومدى الشعبية والجماهيرية. وأن الإستراتيجية التي تؤسس بناء على مشاعر وأمزجة الشعوب لن تنجح في تحقيق الأمن. تحقيق النصر في العراق ما زال ممكنا من خلال لغة طغى عليها التباهي، بدأ فردريك كاغان ورقته حول إمكانية تحقيق نصر للولايات المتحدة في العراق قائلا إن الانتصار ما يزال أحد الخيارات الممكنة في العراق، فدولة يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ مليون نسمة، ويصل إجمالي الدخل القومي لها ١٢ تريليون دولار ويزيد عدد أفراد قواتها المسلحة عن المليون فرد، لديها القدرة والموارد لتحقيق الاستقرار في دولة مثل العراق يبلغ عدد سكانها ٢٥ مليون نسمة، ولا يزيد إجمالي الدخل القومي لها عن ١٠٠ بليون دولار، وتوازي مساحتها مساحة ولاية كاليفورنيا. وبالتالي ينبغي على الولايات المتحدة أن تستخدم مواردها بعناية شديدة لبناء حكومة عراقية ديمقراطية شرعية ومنتخبة. وحذر كاغان من مخاطر الهزيمة والانسحاب من العراق قائلا إن تحقيق الولايات المتحدة النصر في العراق لهو أمر في غاية الأهمية والحيوية لأمنها. فالفشل يعني ازدياد الإرهاب الدولي والدفع بمنطقة الشرق الأوسط إلى حافة الصراعات الإقليمية والكوارث الإنسانية. وأضاف كاغان أن الوضع في العراق مؤخرا قد بلغ مبلغا حرجا، وأن الاعتماد في حل الأزمات الراهنة على آليات العملية السياسية فقط قد أثبت فشله. خاصة إذا لم يتم السيطرة السريعة على ازدياد العنف الطائفي الذي من شأنه أن يدمر الحكومة وقوات الأمن العراقية.

وصفة النجاح في العراق

دعا كاغان في تقديمه إلى استعادة الأمن والاستقرار في العاصمة بغداد والتي يدرك الجميع أنها النقطة الحاسمة في الوضع الراهن. وعرض الباحث عددا من التوصيات اللازمة لتحقيق هذا منها: تأمين الأحياء السكنية الذي لم يكن من قبل من أولويات السياسة الاميركية في العراق. تدريب وتأهيل القوات العراقية لابد أن يسير جنبا إلى جنب مع وجود القوات الاميركية. إرسال المزيد من القوات الأميركية إلى العراق خصوصا إلي بغداد. تحسين الأوضاع المعيشية والاقتصادية للعراقيين. مع مواصلة تنمية العملية السياسية. استمرار وجود القوات الأميركية في الأحياء التي يتم تطهيرها من الإرهابيين. البدء في مشروعات إعادة الإعمار وتأهيل الكوادر الحكومية العراقية. الإسراع في تشكيل حكومة مركزية شرعية عراقية.

النتائج الكارثية لمغادرة العراق

اتفق كاغان مع زميله مايكل روبن على أن نتيجة الانسحاب من العراق ستكون الفشل، وقال إن الانسحاب الفوري سيؤدي إلى هزيمة فورية، حيث إن قوات الأمن العراقية تعتمد كليا على دعم القوات الاميركية وفي حالة انسحاب هذه القوات فإن النتيجة ستكون انهيار القوات العراقية وسقوط البلاد في حرب أهلية يمكن أن يتسع نطاقها في كل منطقة الشرق الأوسط. كما اختلف كاغان مع توصية تقرير مجموعة دراسة العراق الهادفة المتعلقة بقبول التعامل مباشرة مع سوريا وإيران قائلا إن الهيكل الأساسي للعنف نابع من داخل العراق، صحيح أن دول الجوار تشجع هذا العنف، لكنها غير قادرة على إيقافه كما يظن البعض. وفي رده على التوصية بالتعجيل بنقل الصلاحيات الأمنية كاملة إلى الجانب العراقي والاكتفاء بقيام القوات الأميركية بتدريبهم، قال الباحث إن هذه الفكرة تعد أيضا مخاطرة كبيرة، حيث أن الوقت لم يحن بعد لاستلام القوات العراقية المهام، خاصة في محيط أحياء العاصمة بغداد. وأضاف أن خطوة مثل تلك يمكن أن تؤدي إلى زيادة مطردة في أعمال العنف وتزيد البلاد قربا من الحرب الأهلية. وأنهى كاغان دراسته بالقول إن إخفاقا في العراق اليوم سوف يكلفنا تضحيات أكبر في المستقبل، أما النجاح وتحقيق النصر فسوف يظهر قوة الولايات المتحدة للأصدقاء قبل الأعداء في كافة أنحاء العالم.

إنطي الخبز

إنطي الخبز إنطي الخبز

عصام سليمان - تلكيف

كثيرا ما يردد العراقيون كلمات أصبحت جزءا مهما من موروثهم الشعبي لأنها تأتي في ظرف أو موقف ما تصيح فيه نوعا ما قريبة من الحكمة أو المأثور من الأقوال التي تنطبع في ذاكرة الناس وتستمر معهم إلى الأجيال اللاحقة وهكذا نجد الكثير من تلك الأمثال تشجع الناس على التقيد بمضمونها لأنها تتجدد في إثبات صحة فرضيتها حتى مع تطور الزمن لذلك تجد المجتمع وخصوصا العراقي ملتزما والى حد بعيد بذلك الموروث الشعبي من الحكم والأمثال ويؤكد على كونها تشمل جميع مناحي الحياة فيقولون "أبو المثل ما خله شي ما كاله" ومن تلك الأمثال الواضحة في مضمونها مثل شعبي يردده العراقيون بمختلف لهجاتهم ألا وهو "إنطي الخبز لخبازة حتى لو إكلت نصه بالعافية"، أي أعطي العجين لمن تجيد صناعة الخبز حتى لو دفعت نصف الكمية ثمنا لذلك. ومن مدلولات المثل اعطاء المهمة لأناس يتدبرون أمرها "لأهلها" أو لمن هو قادر على انجازها حتى لو تقاسمت معه الثمار وكذلك يقصد بالمثل أيضا ضع الشخص المناسب في المكان المناسب مهما كان النجاح مكلفا فهو أقل كلفة من الفشل والهدر وضياع الموارد في يد مقصر أو مهمل.

ولو تفحصنا ظروفنا الراهنة ألا يبدو العراق اليوم في أحوج أوقاته لمثل تلك الحكمة أو الأمثولة وتطبيقاتها في كل مكان ومضمار ليس في السياسة وحدها بل في الاقتصاد وجميع مناحي الحياة الأخرى لأن جزءا مهما من مشاكلنا متأتية من عدم التزامنا بقاعدة الاستفادة القصوى من مواردنا البشرية والمادية، فالأمر بات متروكا للأحزاب ومساوماتها الطائفية والنتيجة أن بعض من يشغل المناصب السياسية والإدارية في البلد اخطر على المجتمع من حصاد سنة إرهابية كاملة لأنه يؤخر ولا يقدم في عملية تطوير المجتمع ويساهم في تفاقم الأزمات المتراكمة أصلا منذ عقود. لذا فالمطلوب منا كعراقيين اليوم ترديد هذا المثل على مسامع ساستنا الكبار بألف شكل وصورة جديدة وليس وفق سياق واحد.. كأن نقول لهم: أعط الموقع السياسي أو الإداري لمن يستحقه بالفعل ولمن هو قادر على تسيير أمور البلد وتحويل دائرته أو وزارته إلى خلية نحل تجمع العسل وتلدغ الأعداء مهما كان انتماء ذلك الشخص فهو مطلب الشعب دون استثناء حتى لو تطلب خبرة مستقدمة من الخارج يدفع لها أرقاما خيالية فالثمن أبخس من دفع القيمة كلها هباء أو استهتارا بموقع ما أو بعملية تنموية تخدم قضية البلد واستقراره. أعط مهمة البلد وتوحيده لشخص قادر على تجاوز كل مشاعره الطائفية ومصالحه الضيقة.. إلى إنسان يعي ثقل المسؤولية ويعترف بحقيقة الاختلاف في متطلبات المرحلة السياسية، فلا ضير عنده من اقتباس مفاهيم علمانية وأساليب جديدة تختلف عن نهج الحزب الذي أوصله إلى السلطة.. لأنه بلغة السياسة سيد الوطن ولا يوجد حزب واحد على الإطلاق قادر على استيعاب بلد بأكمله أو شعب بتعداده حتى لو بلغ اقل رقم معروف. أنطي الخبز أو عفوا أعط "الغاز" المصاحب للنفط المستخرج من آبارنا والمهدور في مجمعات التكرير والمصافي إلى شركات ومنتجين يمتلكون تقنيات السيطرة عليه واستغلاله ومن ثم الاستفادة منه حتى لو تطلب الأمر المشاركة في استثماره بدل أن يذهب سدى أو يحرق ليلوث البيئة، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لكل مواردنا الأخرى التي نعجز عن استغلالها ونقف أمامها محرومين من خيراتها الوافرة بدعوى الخوف من التفريط بها ووضعها تحت رحمة الدول الأجنبية والشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات متناسين أن القواميس مزدحمة بأسماء عناصر كفوءة وأساليب استثمار خاصة . وطنية كانت أو مختلطة تمكن العراقيين من الاستفادة القصوى من مواردهم وتقليل الهدر والسرقة إلى أدنى المستويات الممكنة. أعطي الدعم الحكومي إلى أية جهة جريئة قادرة على النزول إلى الشارع والتغلغل بين المواطنين من اجل زرع القيم الجديدة بين أبنائه، واقطعه عن العناوين التي تؤسس فقط كدعاية لتغطية نشاطات مجموعات من اللصوص والانتهازيين تحت مسميات جمعيات خيرية أو اجتماعية أو غير حكومية أو حتى تحت مسميات اللجان الحكومية، أعط دورا ومجالا رحبا لكل من يحاول أن يبدع في مجاله ويتفنن في السياسة وأطلق لسانك دفاعا عن كل من ظلم وحرم من فرصته واستحقاقه الكامل في امتلاك نقطة للانطلاق منها نحو المجتمع. منذ الأزل برهنت الحياة للإنسان بأنها مجرد ركنان "الأخذ والعطاء" مستمران معا، فإذا عرف الإنسان كيف يعطي ولمن هكذا أيضا ستكون حصته من الأخذ فلا يمكن أن نأخذ دائما ولا أن نعطي دائما ولكننا قادرون على خلق نوع من الموازنة بين الجانبين.

الرجل المناسب في المكان المناسب

ذنون محمد - نينوى

لربما كانت واحده من الأسباب التي أدت إلى حالة التخلف لدينا هي اختيار وجهاء المدينة سادة القوم ومنبع الآراء دون النظر إلى المقاسات العلمية من شهادة دراسية وخبرة تطبيقيه تعطي للإنسان ميزة الإدارة بأسلوب ناجح، وهذه النظرة موجودة في الدول التي تصنف ضمن دول العالم الثالث وهي من الأسباب التي جعلت هذه الدول بهذا الترتيب. فما أن أجريت الانتخابات لاختيار هذه المجالس التي يقع على عاتقها بناء المجتمع على أسس واضحة سواء كان في مجالس المحافظات أو الأقضية إلا كانت الدعوات موجهة إلى هؤلاء الوجهاء من رجال طاعنين في السن أو ممن يمتلك المال الوفير لأخذ مشورتهم في هذا الأمر وجعلهم الحكم في الاختيار، فتصور كيف تكون آراؤهم وهم ممن طرد من مقاعد الدراسة لرسوبه حتى في درس الرياضة!، فإن كان الله قد أنعم عليه بالمال الوفير فلربما أذهب عنه نعمة الاختيار الصحيح أو بمعنى أدق نعمة العقل. إن علينا أن نرفع هذه الدعوة من العقول وأن لا نظل ندور بفلك الجاهلية وأن ندرك أننا في مرحلة العلم والتقدم وإن علينا أن ننظر إلى الذين سبقونا في هذا المجال بعد أن تم الاعتماد على الأسس العلمية في الاختيار لإدارة دفة المجتمع مما يولد مجتمعا متقدما ويجعل تصنيف تلك الدول بمكانة بتنا نحسدها عليها.

إن العلم والمعرفة والاطلاع على البحور العلمية المختلفة غاية لا تدرك وهي صله بين العقل وبين العلم حتى تكون النتائج بالمستوى المعهود وتكون بالتالي في صالح المجتمع وتكون سببا من أسباب رقيه ونهضته. نلاحظ الآن في مجتمعنا، وهي حقيقة لا غبار عليها، أنه ما أن تم اختيار المجالس البلدية إلا تمت دعوة الوجهاء الذين غالبيتهم لا يفكون من اللغة حرفا وتكون خبرتهم في الحياة خبره قبلية أو عشائرية وهي التي ولدت وتولد الحزازات وتكون سببا من أسباب التخلف فكيف يؤخذ بآراء هؤلاء وتترك العقول العلمية الواعية والمدركة لطبيعة المجتمع وهي التي صقلت خبرتها بالمعرفة والاطلاع على النماذج المتقدمة لباقي المجتمعات؟، كيف يكون هؤلاء هم أصحاب الرأي والمشورة في قيادة المجالس؟. تصوروا حجم الكارثة عندما تسند الآراء لهم ويكونون بموقع القائد أو المعلم.. والآخرون ممن أفنوا حياتهم في طلب العلم والاطلاع على المستجدات في المواقع الخلفية!. ولماذا إذن وضعت المناهج الدراسية!، لماذا تنفق الدول المليارات على المدارس والجامعات والبحوث المختلفة؟.. أليس ذلك وسيله لخدمة المجتمع وبناء النموذج الإنساني على أسس واضحة!.

إن علينا أن نبين سلبيات هذه النقطة ودون إحراج لأحد لأنها حقيقة باتت واضحة في مجتمعنا وعلى الآخر أيضا أن يقدر ذلك وان يعي حجم المسؤولية في الاختيار وان ينزوي جانبا ويفسح المجال للعقول الواعية والمدركة والمطلعة على صغائر الأشياء. وكلامنا هذا ليس غايته التجريح بقدر ما نتوخاه منه من الفائدة للمجتمع الذي هو مسؤوليتنا جميعا.

قياسات النهضة

عملية البناء في أي دوله لا يمكن لها أن تقاس بمنطق الحرب أو القوه المفرطة بل تقاس بما تقدم الدولة من خدمات وضمان اجتماعي إلى أبنائها في سبيل رفاه الشعب وتذليل تعقيدات الحياة أمامهم لكي تجعل المواطن يشعر بتلك الرعاية أو بمستوى تلك الخدمات التي تقدم لتكون بمثابة ضمان له ولعائلته من عاديات الزمن المختلفة. ولكن هل نحن الآن مهيئين لهذه الأبجديات!. إن ما نمر به حاليا هو البداية الصحيحة أو الخطوة الأولى لهذا الاتجاه خصوصا وان مستوى الفرد العراقي وثقافته متقبله لهذا النظام الاجتماعي. فثقافة الفرد العراقي عاليه ودرجة تقبله متقدة خصوصا إذا اعتبر أن صيغة الديمقراطية العادلة هي الحل الأمثل لواقعه المتعدد النسيج.

ما يحصل حاليا من انفلات أمني وفوضى سياسيه وفساد إداري استشرى بكافة مؤسساته هي نتيجة طبيعية أو إفرازات منطقيه لهذا النهج. فأية عملية تغيير لا تتم بالسهولة المعتادة خصوصا وإن كان التغير من أنظمة حكم فرديه واضعة يدها الحديدية على جميع السلطات إلى طبيعة نظام جديد يفصل بين هذه السلطات أو ما اصطلح على تعريفه بدولة المؤسسات.

علينا أن نفهم هذه المعادلة ونعالج بديهياتها بنفس طويل وان نتقبل النتائج أيا كانت في سبيل الخروج إلى بر الأمان الذي نحلم به بعيدا عن الحسابات المعقدة والحتمية الوقوع.. تلك هي بكل تأكيد طبيعة كل حركة تصحيحية تهدف إلى نقل الوضع أو بمعنى أدق حال البلد إلى صورة أكثر قبولا لدى الجماهير التي تبحث عن فرص العيش الرغيد أو العدالة الاجتماعية التي تحلم بها قطاعاتها المتنوعه.. لا سيما أن إشكالية المجتمع العراقي وطرق تفكيره ليست باتجاه واحد أو نظره واحده بل أن التعددية الدينية والقومية قد أوجدت فيه طرق تفكير متعددة تبحث عن جامع واحد يستوعب الكل. فالتغيير في نمطية الحكم من حالة فردية أو بمعنى أدق نظام ذا سلطة واحدة إلى نظام الحكم الجماهيري قد يضر وقد لا يروق أيضا لبعض الأشخاص الذين قد تضرب مصالحهم خصوصا وأنهم كانوا يسعون إلى التحكم بمصائر الناس وشيدوا امبراطوريات صغيرة داخل هرم الدولة، وهذا الفكر الديمقراطي بكل تأكيد لا يتقبله هؤلاء لما فيه من أضرار بمصالح هذه الطبقات التي تريد الضرب بيد من حديد على عامة المؤسسات أو هياكل الدولة مستغله أخطبوطها الممتد إلى أي عمق كان.

سلوقية Selucia
مدينة يونانية في قلب العراق

فؤاد يوسف قزانجي

سلوقيا "تل عمر" أو ساليق كما اطلق عليها المسيحيون العراقيون الأوائل، مدينة يونانية شيدت في قلب العراق القديم على الطراز الهلنستي لكي تنافس بابل أشهر مدينة في العالم القديم. بنيت على ضفاف دجلة يمر بقربها نهر ملكا، وتبعد حوالي "٦٠ كم" شمال بابل.

بنيت سلوقيا في عام ٣١٢ ق.م من قبل القائد اليوناني سلوقس الذي حكم بلاد الرافدين بين ٣٢١-٢٨٨ ق.م بعد وفاة الامبراطور الاسكندر الكبير في بابل عام ٣٢٣ ق.م، وفي عام ٣٠٥ ق.م نادى سلوقس بنفسه ملكا على اسيا الصغرى بضمنها العراق وبقية بلدان الهلال الخصيب، ثم بنى عدة مدن باسم سلوقس من بينها واحدة في أقصى سوريا على البحر المتوسط، كما أعاد بناء ارابخا وسميت كرخا سلوقسي أو كرخ دبيث سلوخ "فيما بعد كركوك". وفي عام ٢٧٢ ق.م قرر سلوقس ان يجعل من سلوقيا - دجلة عاصمة لملكه، فجدد في عماراتها وأضاف اليها أبنية أخرى، ثم طلب من أهالي بابل الانتقال اليها وبدأ إزدهار مدينة سلوقية حتى غدت مدينة كبيرة قيل ان سكانها بلغوا "٦٠٠٠٠٠ نسمة" وصارت على قدم المساواة مع انطاكيا والاسكندرية (١).

كانت سلوقية قد ضمت شارعا رئيسا عريضا امتدت على جانبيه العمارات اليونانية كالمعبد وبناية ادارة المدينة التي كانت تحتوي على اربعة عشر غرفة بالاضافة الى دار السجلات لتوثيق المعاملات التجارية واختام التجار وقد وجد في هذه البناية "١٠٦٠٠٠ ختم"، وهناك شارع طويل آخر يقطع الشارع الرئيسي، وعلى جانبيه بيوت الواطنين. كما وجد أبنية اخرى مثل قاعة للحفلات وطريق مغطى بالأعمدة لعله امام قصر حاكم المدينة، كما وجد عدد من الدكاكين للصناع الذين كانوا يستخدمون المعادن وأفران النار لغرض صنع السيوف والادوات المعدنية وتصلح العربات (٢).

كان معظم سكان سلوقيا من البابليين الذين أدخلوا اليها تقاليدهم وعباداتهم. تشكل هذه المدينة مركزا للمواصلات حيث تلتقي فيه جميع طرق القوافل الى الهند والى الغرب والى الجزيرة العربية والخليج. وقد اغتنت من تجارة المرور "الترانزيت" وأصبحت مستودعا للسلع الهندية والغربية في الشرق الأدنى.

ولكنها لم تلبث ان إستبدلت بمدينة اخرى هي كتيسفون "Ctesephon" او قطيسفون، بعد ان غزا العراق الفرس الفرثيون في العامين ١٤١-١٤٠ ق.م فأقاموا مدينة قطيسفون "المدائن"، وقيل انها بنيت قبل ذلك، لعل في زمن الأخمينيين.

في أواخر القرن الاول الميلادي غيّر نهر دجلة مجراه فعزل مدينة سلوقية عن قطيسفون وغيّر موقعها غرب دجلة.

وفي عام ١٦٥م غزا الجيش الروماني العراق ووصل الى ساليق بقيادة افيدوس كاسيوس الذي إستولى عليها ونهبها وحرق كثير من أبنيتها. وفي عام ٢٣٠م بنى الساسانيون مدينة جنوب قطيسفون هي "فيه-اردشير" وسميت ايضا ساليق الخربة. والمدينة الجديدة "فيه اردشير" هي التي يرد ذكرها في المصادر السريانية بإسم ساليق تارة وماحوزا تارة اخرى (٣).

اما كوخي الموضع الذي أقيمت فيه اول كنيسة في العراق فيقع في الطرف الجنوبي لقطيسفون. وكان مار ماري "توفي ٨٢م" تلميذ احد رسل المسيح الاثنين والسبعين، وهو مار ادي قد دعا أهالي سلوقيا وكوخي الى عبادة الإله الواحد الخالق والى نبذ الأصنام وترك عبادة النار، فكان أهالي ساليق وكوخي من أوائل المؤمنين المسيحيين في العراق، وأصبحت كنيسة كوخي التي جددت مرات عديدة مركز رئيس الأساقفة أو الجاثاليق الذي كان يترأس كنائس العراق وايران والخليج والهند حتى عام ٦٣٧م.

وحاليا فإن أسس أبنية سلوقيا تشغل منطقة مرتفعة في وسطها تل عمر. وآثار مدينة سلوقيا في الجهة الثانية من النهر قبالة "طاق كسرى" في المدائن تقريبا، وتبعد عن بغداد زهاء "٣٥ كم".

المصادر:

1. Fiey,J.M, Topography of Madain: Secleucia and Ctesiphon area. Summer. 1969 "P.3 - 38".

2. مكاي، دوروثي. مدن العراق القديمة، ترجمة وتعقيب يوسف يعقوب مسكوني. بغداد: مطبعة شفيق ط٣/١٩٦١ "ص: ٢٩-٣٠".

3. أبونا، "الأب" البير. المداين ودورها في كنيسة المشرق. نجم المشرق. العدد ١٤/ ١٩٩٨ "ص: ١٨١-١٨٢".